اسم الدرس : تفسير سورة النبأ ج1

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بإذن الله عز وجل نبدأ سويًا الجزء الثاني من دورة بصائر قرآنية. وقد أشرنا أن دورة بصائر قرآنية الغرض الأساسي منها أن **نكسّر الحاجز** الذى أُقيم على مدار سنوات، بين الناس وبين كتاب الله عز وجل.

هناك حواجز كثيرة، سواء العُجمة–حيث لم نعد نفهم الكلام–... أو المشاعر...أو المعاني... أو واقع الصحابة، كل هذا حدث فيه فجوة بيننا و بينه...هناك فجوة بيننا وبين نصوص القرآن، فغرضنا في دورة بصائر قرآنية أن نكسر هذه الحواجز.

قلنا أن الدورة سوف تكون جزئين إن شاء الله، الجزء الأول وُضع له عنوان اسمه (القرآن حياتي)...القرآن حياتي: ستة دروس الغرض منها أن نحول معلومة(أهمية القرآن)، نحولها من مجرد معلومة إلى عقيدة.

هناك فرق بين المعلومة والعقيدة، مثلاً أنا لدى معلومة أن هذا المال يفعل كذا، لكن أنّ هذه المعلومة تُعقد عقيدة، أى: تربط على القلب، حينما تتحول هذه المعلومة إلى عقيدة سيُبنى عليها أفعال، يُبنى عليها ردود أفعال.

سوف تجدنى أبذل مجهوداً حينما أعتقد أنه لا نجاة، ولا هدى، ولا نور، ولا بصائر، إلا في كتاب الله عز وجل، حينما تتحول هذه المعلومات إلى عقيدة سوف تجد أن ردود أفعالي قد اختلفت، هذا هو الغرض من هذه الدروس الستة فى الجزء الأول من ((بصائر قرآنية)).

ثم بعد أن اقتنعنا، وفهمنا، وأيقنّا، وأصبح عندنا عقيدة، نريد أن نبدأ...فنبدأ بداية منهجية، اخترنا أن نبدأ بجزء عمّ.

لماذا جزء عمّ؟

جزء عمّ –كمقدمة سريعة– هو من أوائل ما نزل على الصحابة (ليس كل الجزء).

جزء عمّ فيه مميزات، أن آياته قصيرة، آيات تمثل طرقات على القلب الغافل.

وهذا يفيدنا جدًا في الدعوة إلى الله عز وجل، هناك فرق بين أن تُحدّث إنساناً ما في أمر معين وتناقشه فيه وهو عنده خلفية مسبقة عن هذا الموضوع، وبين إنسان غافل لا يعلم عن الأمر شيئاً، فالغافل لا ينبغي أن تجعله يَشرد منك أثناء الكلام.

لذلك تأتي أغلب آيات وسور الجزء الثلاثين (جزء عم)كالطرقات السريعة المتتالية ، تجد "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" النبأ3:1

"وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * والناشطات نشطا *والسابحات سبحا"النازعات

"وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا*فالموريات قدحا" العاديات

كل السور لا تدع له فرصة ليفيق، يسمع الآية الأولى فيفكر فيها ، " وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ": أي روح تُنزع، ثم يقرأ التي تليها، هناك أُناساً تنشط أرواحهم، ثم التي تليها، يجد أن القيامة قد قامت، ثم التي تليها، يجد أن فرعون قد أُغرق، ثم التي تليها، يجد أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض، ثم التي تليها قامت القيامة، ثم يجد نفسه قد دخل في سورة تالية، "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ " فينظر إلى الشمس، لا يكاد يفيق من طرقة الآية الأولى حتى يجد الآية التالية تنزل عليه بطرقة أخرى.

يخرج ولا يدري بم خرج!

لكن بعد أن قرأ السورة، يشعر أن هناك تغييراً ما، يشعر أن قلبه مُجهد من هذه الطلقات والضربات التي نزلت عليه، هو لا يفهم بالضبط ماذا حدث!

ولكن المهم أن شيئا ما تغير! أو قرر أن يقف مع نفسه وقفة!

لذلك قيل أن هذه السور حينما كانت تنزل على الصحابة، أو حتى على المشركين، كانت تحولهم لحال من اثنين،

إما أن يؤمن، أو أن يجحد، لا تدعُ أحداً يقف في الوسط، لا تترك المجال ليقول أحدهم أنه يشك أو يحتمل، وهذه سمة عامة في الجزء الثلاثين.

لذلك فإن الجزء الثلاثون دائمًا ينفع الناس الغافلة، الغارقة في الشهوات.

عندما صار هناك مجتمعاً في المدينة، المجتمع المدني، وهناك أهل كتاب وعندهم تشريع مضاد، وأنت تحاول أن تقنعهم وترد عليهم وتبين لهم الأفضل، أصبح سياق الآيات طويل ، وهذه سمة أحياناً يستعملها العلماء للتفريق بين السور المكية والمدنية، **فالمكية غالبا تجد آياتها قصيرة، سريعة، متتالية، أما الآيات المدنية–كذلك في الغالب أيضًا– تجد الآيات فيها طويلة**، لأنها تُشَرِع لأُناس أيقنوا بالفعل.

فهناك أُناس قالوا: نحن موقنون أن القرآن حق، لكن نحتاج إلى تفاصيل، فالقرآن يُفهمهم على مهل، ويأخذهم خطوة بخطوة، وتجد أيضاً صياغة الردود مع أهل الكتاب، لأن لديهم تشريع، يأتون إليك بتشريع مضاد، فأنت تحتاج لنوع من التفصيل معهم ، فلذلك تجد الكثيرين قد تكلموا عن أهمية الجزء الثلاثون، ولذلك سيكون كبداية منهجية نبدأ بها.

سوف نبدأ إن شاء الله عز وجل بسورة النبأ، وسورة النبأ هي مقدمة القاطرة الرهيبة التي معنا في الجزء الثلاثين، ونجد أن غالب الجزء يتكلم عن مواضيع معينة، يمكن أن تكون قد أُجملت في سورة النبأ، فنبدأ بإذن الله عز وجل اليوم سوياً في سورة النبأ.

نبدأ بقول الله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم..

"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" النبأ:1

العجيب أن هذا الجزء، بالحقائق الضخمة التي فيه، بدأ بتساؤل، بدأ بسؤال عن السؤال" عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ !!!"

مراحل فهم القرآن

بدأت بسؤال عن التساؤلات التي في المجتمع، أنا أريدك أن تتخيل معى مشهد السورة، دائمًا يا إخواني نريد ونحن مع بعضنا البعض نتدارس القرآن، نريد أن نعيش السورة، لا يقتصر الأمر على مجرد أن أفهم أن العاديات: هي الخيل التى تجري، وأن أفهم أن الضبح: هو صوت كذا، وأن أفهم أن الزلزلة: هى

صوت اهتزاز الأرض، وأن أفهم أن الخلاف في كلمة البينة هل هو النبي –صلى الله عليه وسلم– أم القرآن؟...ليس هذا فقط هو ما نريده، هذه هى فقط المرحلة الأولى لمعرفة المفردات المعجمة علينا.

المرحلة الثانية أن أعيش أجواء السورة، هكذا أريدك معى.

أصلًا كلمة سورة_وهذه من اللطائف_ **كلمة سورة توحى وكأن هناك حديقة حولها سور**، فنحن هنا سوياً لماذا؟ لنحاول تسلق هذا السور، كى ننبهر مع بعضنا بالحديقة، والثمار، والأشجار التي بالداخل، فتعالوا نتسور سورة... سورة لنرى ما فيها من جنَّات.

فحين نفتتح سورة النبأ، تُرى ما هى البداية؟ ماذا سنسمع؟ وماذا سنرى؟

هناك سورة تبدأ بمشهد مرعب مثل سورة الحج "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"الحج:1 وهناك سورة تبدأ "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ" محمد:1

وهناك أيضاً سورة تبدأ بخيل تجري، وأنت لا تدرى إلى أين هى ذاهبة "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" العاديات:1

"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ"؟

السورة تبدأ بأن هناك أُناس يجلسون في مجالس في مكة، يجلسون فى مجموعات...يجلسون فى مجالس يتكلمون.. هل سمعت بما حدث؟ إنهم يقولون كذا، فكأن السورة تقترب منهم أكثر وأكثر...ولكن من هؤلاء يا تُرى؟، إنهم مجموعات من المشركين يجلسون في مكة...

ما الموضوع الذى تتحدث عنه مكة كلها؟ إنهم يتكلمون عن حقيقة جاءت جديدة عليهم، أو موضوع جديد، الكل يسأل!!!

فربنا عز وجل يقول "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ"

ولله المثل الأعلى، تخيل مثلًا معلم دخل على مجموعة من الطلاب، وجلس يراقبهم من بعيد، وإذ به يسمع الطلاب يقولون: تُرى هل ستكون هناك امتحانات أم لا؟!

أحدهم يقول: لقد سمعت أنهم سوف يلغوا الامتحانات...آخر يرد: يا أخى ليس هناك امتحانات، هذا الموضوع كله كذب وهراء...

والآخر يقول: لا...لا، كيف يُعقل ألاّ تُعقد امتحانات! معقول أن يبنوا هذا المبنى كله ثم فى النهاية لا تكون هناك امتحانات! لا، لا، لا... ثم يأتى صوت أحدهم مجيباً على صاحبه: نعم يا صديقى ليس هناك امتحانات...

وفجأة يأتى صوت يقطع هذا كله...

فيم تتكلمون؟! "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ"

أى: أمازلتم تتساءلون هل هناك امتحانات أم لا!! أبعد أن بنينا لكم هذا المبنى، وجئنا لكم بالمدرسين، وعلمناكم، وأنفقنا عليكم، وجهزنا لكم كل هذه المباني !، هل كل هذا عبث؟إلى الآن تتساءلون عن الامتحانات ؟!...

ولله المثل الأعلى.

قال الله تعالى: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" أمازلتم تتساءلون عن سبب الخلق؟! أمازلتم تتكلمون هل هناك بعث أم لا؟! وهل القرآن حقيقة أم لا؟!، وهل هذا رسول أم لا ؟!...أمازلتم تتكلمون وتتساءلون؟!!

"أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا" النبأ:6

ألست أنا الذي خلقت لكم الأرض؟!، وخلقت لكم الجبال!، وخلقت لكم السماء!، وأنزلت لكم المطر!، وأخرجت لكم الزرع!، هل يعقل مع كل هذا أنكم مازلتم تتساءلون؟!

فهذا السؤال قاطع لكل هذه التساؤلات...سؤال استنكاري، ماذا تفعلون؟!!!

فبدأت السورة بمجموعات في مجالسهم-نريد أن نؤكد على كلمة (مجموعات) لأنها ستتكرر معنا- "يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا" النبأ:18... المجموعات المتسائلة بنفخة واحدة سينتقلون إلى الدار الآخرة "يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"

هذه المجموعات الجالسة تتساءل وتستهزيء...هم جالسون يستهزءون؛ فمنهم من يقول:قل لي ما آخر شيء سمعته عن موضوع يوم القيامة هذا الذي يدَّعونه ؟!

ما آخر آية نزلت فينا؟!

أنا سمعت أنهم يقولون أنه يوجد جهنم!، وفيها زقوم!، وفيها أشياء حلوة في جهنم، فهيا بنا نجرب!!!

هذا موضوع هذه الجلسات... جلسات استهزاء.

قال تعالى "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" جاءت بصيغة المضارع "يَتَسَاءَلُونَ" الناس في مكة تحولوا إلى مجموعات يتناقشون... في أي شئ يتناقشون!!!

الله سبحانه وتعالى يُعْلِمُن اعن موضوع نقاشهم وحديثهم ، وهذا يعطي ثقة للمؤمن.

مثل بداية سورة الأنبياء، قول الله عز وجل "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ "

ثم يقول ربنا "وَأَسَرُّوا النَّجْوَى".. المجموعات المشركة يتناجون حتى لا يصل الكلام إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، يتكلمون ويتهامسون مع بعض حتى لا يصل الكلام للمؤمنين، "وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا".. ماذا يقولون؟ "هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ" فالرؤساء القادة يقنعون الضعفاء، أذاهبون للسحر بأنفسكم!!!

ربنا –سبحانه وتعالى– مخبرا عن رد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم – يقول " قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" أنت تقول لهم: أنا أعلم بالأمس ليلا ماذا كنتم تقولون... أنا أعلم في مجالسكم الخاصة ليلا ماذا تفعلون فيها.." قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "

ءأخبركم ماذا كنتم تقولون؟

"بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ" سأرد لكم على الشبهات التي لم أسمعها أصلًا...أنا سأرد لكم عليها "مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ" الأنبياء6:1

لك أن تتخيل الصدمة التي تحدث للمشرك!!!

عجبا!!!إنه يعلم ما كنا نتكلم فيه!!! وأجاب على هذه التساؤلات.

هذا يجعل المجتمع فعلًا يصل إلى مرحلة.. إما أنه يؤمن أو أنه يجحد... لا يوجد أحد يقول أنا أصلًا غير مقتنع... هو أيقن لكنه أخذ قرار، والعياذ بالله قرار: عداوته ما بقيت؛مثل اليهود مثلا، لأنه عرف الحق.

فالسورة"سورة النبأ" ليس فقط عرفتنا فيم يتساءلون لكنها أنكرت عليهم هذا التساؤل "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ"!!!

هكذا نفتتح السورة فنجد أناس جالسين مجموعات في مكة، ماذا يعملون؟ جالسين يتساءلون، ثم إن كلمة "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" فيها أمرين؛ الأول: أنها جاءت بصيغة المضارع –أريدكم أن تركزوا معي قليلا–

والثاني: صيغة يتفاعل، ربنالم يقل عمَّ يسألون، ولم يقل عمَّ تساءلوا، لا بل أتى بشيئين أتى بصيغة المضارع، وأتى بصيغة الفعل يتساءلون (صيغة يتفاعل)

- **صيغة المضارع** تدل على أن التساؤلات والجلسات كانت مستمرة... لم تكن جلسة وانتهت، تدل على أن كل يوم تقريبًا كان هناك جلسة.

تماما مثلما يُثار موضوع جديد في المجتمع ...مثل موضوع تطبيق الشريعة فقد جاءت فترة، تجد كل برنامج تشاهده يناقش شُبهة من شُبهات الشريعة... جالسين يتكلموا فيه، يريدون أن يقنعوا الناس أن تطبيق الشريعة أمر شبه مستحيل ، فكل يوم هناك مجلس... وهكذا هذه المجموعات سواء أكان النبأ العظيم هو يوم القيامة، أو القرآن، أو الرسول... كل يوم هناك جلسات سواء القادة جالسين يضحكون على الصغار المستضعفين يقولون لهم: "أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ"... أو جلسات استفزاز للمؤمنين... أو جلسات استهزاء... أو جلسات استنكار بينهم وبين بعض، إذاً صيغة المضارع تعني أن هذا الموضوع يومي ومستمر .

- **صيغة يتفاعل**...أي أن كل شخص يجلس في جلسة هو الذي يسأل ثم يأخذ إجابات ويذهب يسأل شخص آخر، وثاني يوم هو الذي يُسأل، والمجتمع كله يظل يتساءل.

ثم نقطة هامة تتكرر كثيرا في القرآن ...لماذا يتساءلون؟ الداعية لابد أن يعلم: هل يسألون بحثًا عن الحق؟ ... أم سؤال استهزاء واستنكار؟

فلو شخص يسأل أسئلة استهزاء فلا تجيبه، لا تضيع وقتك معه، تجاوز السؤال بطريقة تُفحمه.

فمثلا إذا جاء شخص يسأل: متى يأتي يوم القيامة مستنكرا مستهزأ؟.. فعندما تجيبه تقول له: يوم القيامة سيأتي قطعًا، وسيُعذب المنكِر... أنت بهذا الجواب تجاوزت مرحلة إنكاره لحقيقة وواقع ما سيحدث للمكذب في هذا اليوم.

وهذا الذي حدث معنا في السورة...مثلما قلنا عندما يأتي شخص يقول: أنا سمعت أنه لا توجد امتحانات... ما هي آخر أخبار امتحاناتكم؟ فأنت تقول له: يوم النتيجة الراسب سيحدث فيه كذا، وكذا، وكذا... أنت تكلمت عن الشئ الذي ينكره كأنه أمر واقع، أمر مفروغ منه "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا" النبأ:17 الأمر مفروغ منه، الأمر منتهي أصلًا لأن وقته محدد ومكتوب والأمر منتهي... سواء تناقشتم أم لم تتناقشتوا... تساءلتم أم لم تتساءلوا... اقتنعتم أم لم تقتنعوا... الأمر حادث حادث لامحالة.

فبدأت السورة "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" ربنا –سبحانه وتعالى– يقول عن "النَبأ العَظِيم" ولله المثل الاعلى...كالمثال الذي ضربناه في الأول قلنا المدرس عندما دخل على الطلبة وهم يتكلمون في مسألة الاختبارات... ماذا قال لهم؟ فيم تتكلمون ؟! ءأنتم تتكلمون في الامتحانات! هل مازال هناك طلبة تنكر أنه يوجد امتحان!!!

ولله المثل الأعلى ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: أمازال هناك ناس بعد ما رأت كل هذه الآيات الكونية، وكل الآيات القرآنية، أمازال هناك ناس تتساءل هل هناك بعث أم لا!!!

"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ *عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ" فربنا –سبحانه وتعالى– عرّفنا فيم كانوا يتكلمون، وعرّفنا أن الشئ الذي كانوا يتكلمون فيه هو (نبأ عظيم).

نريد أن نقف مع النبأ العظيم وقفات..

- **الوقفة الأولى**: أن الدعاة إلى الله لابد أن يتبنوا قضية كبيرة اسمها "النبأ العظيم"يطلقونها بقوة في المجتمع، ومن قوة طرحهم لها تجد المجتمع كله يتكلم عن هذا النبأ... حتى المستنكر لا يستطيع أن يتوقف عن الكلام.

لذلك دائمًا عندما تجد أهل الباطل يشعرون بالضعف تجاه أهل الحق –حتى لو أنت مازلت مستضعف وليست معك أدوات التمكين– تجده مستمر يتناقش في طرحك، وغرضه أن يفنده.

مثل مرحلة من المراحل... كانت كل البرامج تتكلم في أي شئ؟ الشريعة وتطبيق الشريعة وخطورة وصول الإسلاميين، ومستمرين في الكلام... أنت مازلت غير مُمكن ، لكنه في حالة من الرعب... فأصبحت قضية الساعة عنده.

الدعاة إلى الله؛ ماهي القضية التي عليهم أن يلقونها في المجتمع؟..ماهو النبأ العظيم الذي يقولونه للناس فيجعل الناس في وسائل المواصلات تتكلم ... في وظائفهم تتكلم... في الشارع تتكلم...الجميع يتكلم في هذا الموضوع، وأنت تتكلم مع الناس لابد من نبأ عظيم تتحدث عنه ...

لكن إذا الدعوة إلى الله تجاوزت هذا النبأ العظيم وبدأت بالفروع قبل أن تؤصل لهذا النبأ العظيم، هذه الدعوة في الطريق الخطأ، ليس هذا طريقها الصحيح.

لذلك من معاني سورة الحج، **الحج في اللغة: القصد**. فكأن سورة الحج تقول لك الوجهة والقصد الأساسي للدعوة إلى الله و للدعاة إلى الله "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" يكون مقصدهم الأول: أن تكون دعوتنا ((دعوة عالمية)) للناس كلهم...ثم " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ (السَّاعَةِ) شَيْءٌ عَظِيمٌ" الحج:1

البوصلة التي تضبط وتوجه الدعوة: أنها((دعوة أُخروية)) أصالةً... هذه نقطة خطيرة جدًا...

فالذي يبدأ مع الناس عن الدنيا والمردود الدنيوي، قبل أن يكلمهم عن المردود الأُخروي، هذا يقلب ويعكس الموازين في الدعوة إلى الله، يبدأ خطأ، فيسير خطأ، وأي دعوة فيها انقلاب للموازين لا تكتمل، لأنها في الطريق الخطأ، فمن يقلب في موازين الدعوة لن يصل أبدا.

قد يأتي تساؤل :هل, الذي سيبدأ هكذا(أي يقلب موازين الدعوة)لن يحقق تمكين؟؟

أنا لا أكلمك هناك تمكين أو ليس هناك تمكين، أنا أكلمك أن هذا ليس الطريق الذي يرضي الله – سبحانه وتعالى–، حتى لو حصل تمكين مبدئي، فسيكون شئ وهمي، لن تُؤتي أُكُلها، ليس هذا الذي يرضي ربنا سبحانه وتعالى.

ليست هذه الدعوة التي يسددها ربنا ويوفقها، ليست هذه؛ لأنها بدأت بموازين مقلوبة .

إذًا يجب على الدعوة أن تبدأ ب ((نبأ عظيم)) تُلقيه في المجتمع.

ولكي تُقيّم إذا كانت هذه الدعوة صحيحة أم لا...عليك أن تعرف : هل هذه الدعوة إلى الله ألقَت في المجتمع نبأً عظيم فجعلت المجتمع كله يتساءل ما بين مُصدِّق ومكذب، وشاك ومُوقن، ومُقبل وباحث عن الحق، يجب أن يشعروا أنّ الدعاة يطرحون نبأً عظيمًا.

أيضًا لم يقل: عن الخبر العظيم، قال سبحانه: "عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ"

هناك فارق بين النبأ والخبر، النبأ هو: أمر ذو جلل، الأمر الذي دائمًا صدق، النبأ في الغالب في اللغة لا يأتي إلا مع شيءٍ صِدق، "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ" فاطر:14 لم يقل: ولا يُخبرك... **النبأ دائمًا يأتي مع الصدق**.

أيضا... **الخبر مجرد معلومة عابرة من الممكن ألا ينبني عليها رد فعل**، مثلًا نحن جالسون وعلمتُ أنّ هناك شيئًا أسفل المبنى على سبيل المثال سيارة جاءت ...هذه معلومة...
هذا مجرد خبر .

أما لو أنا جالسٌ في مكانٍ معين وسمعت –حفظنا الله جميعا– أن بيتا يحترق مثلًا، هذا نبأ.. يجب أن نجري ونتحرك، هذا اسمه((نبأ)).

إذًا ربنا يقول أنّ **النبأ يحتاج رد فعل ولا يحتاج لتساؤل**، النبأ يحتاج دعوة، يحتاج قيام ليل، يحتاج لجوءًا إلى الله، يحتاج تضرعًا، يحتاج عبادة، يحتاج بحثًا، يحتاج اجتهادًا، يحتاج علمًا، يحتاج إنفاقًا، هذا هو النبأ.

إذًا مردود الكلام ...**مردود النبأ يَلزم له حركةً في الواقع**.

إنما أن أقول لك أن الإسلام هو مجموعة معلومات:

الإسلام هو أن مَن يريد أن يُسلم فإنه يغتسل، وأنه إذا كان متزوجًا أكثر من أربعة يُطلقهم، وأنّه لايئد ابنته؛ لأن وأد البنات أصبح شيئًا سيئا،

لا...هذا طرحٌ ناقص عن الإسلام، الإسلام هو نبأ عظيم.

ابتداءً يجب معرفة أنه يوجد دار آخرة.. يوجد نبأ عظيم.

لذلك ابن عاشور يقول كلمة جميلة جدًّا، يقول عن النبأ العظيم باستقرائه للقرآن:

أكثر ما هزَّ المجتمع في مكة ...شيئان:-

1- **التوحيد**؛ أنه لا يوجد أحد له دور في الكون إلا الله، وأن كل هذه الآلهة وَهم، وطبعًا اقتصاد مكة كله مبنيٌّ على الآلهة.

2- **البعث**؛ أنّ كل كلمة تقولها وكل شيءٍ تفعله ستُحاسَب عليه.

لم يكن باستطاعتهم تصديق هذا الأمر...

ماذا يعني هذا؟! ....

إذًا ماذا تعني آلهتنا هذه!...

وآباؤنا الأولون!...

والقبائل المبنية على الآلهة!...

والتجارة التي تأتينا من كل أنحاء العالم لمكة من أجل الآلهة!... "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا" ص:5.

وأيضًا من الأشياء الجميلة التي وردت في التفسير: إن كنت تريد معرفة عن ماذا كانوا يتساءلون، ماهي أسئلتهم سواء استهزاء أو لا، جمّع كل الأسئلة التي قالها الكفار في القرآن: سواء "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ" ص:5، "مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ" الفرقان:7، كل الاستنكارات والاستفهامات والتساؤلات التي قالوها في القرآن؛ إن جمعتها تعرف ماذا كان يدور في المجتمع ، "أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ" الأنبياء:3، تَعرف الجلسات التي كانت تتم في مكة، جلسات التضليل الإعلامي التي كانت تتم في مكة ماذا كان يُقال فيها؟

لكي تعرف هذا اقرأ القرآن، اختم مرة القرآن واجمع "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا"، وقالوا... جَمّع فيها أقوال الكفار لإضلال الناس, مثل قولهم أيضا "هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ" سبأ:7،

يقولون: سنخبركم اليوم نكتة رائعة؛ هناك رجل يقول أننا بعدما نصبح مثل هذا التراب سنعود مرةً أخرى! هل يُعقَل أن هناك أحدًا يقول هذا الكلام!!!

ويقومون بعمل جلسة سخرية ويأتون بأحد المؤمنين ويسألونه مستهزئين: قل لنا ما هي آخر المعلومات عندكم اليوم عن البعث؟ ماذا عندكم من أشكال النعيم؟ جلسات استهزاء، تساؤلات الأصل فيها الاستهزاء.

من قوة الطرح القرآني قَلَب الموازين عليهم، لم يَعُد يقول لهم: انتظر...اسمعني فقط... هذا الموضوع لا ينفع، بل خاطبهم أن الله هو الذي يتكلم: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ"، ربنا –سبحانه وتعالى– هو الذي يتكلم ونَسَب لنفسه الكلام قال: "أَلَمْ نَجْعَل" هذه نون العظمة.

لذا دائمًا من المهم في الدعوة إلى الله ألا تجعل هناك معركةً بينك وبين الشخص المدعو أبدًا، أنت تُفهمه أنّك مجرد ناقل... القضية بينك وبين الله، أنا لا دخل لي... بل أنا فقط ناقل؛ تَدَخُّل الأشخاص في الدعوة دائمًا يُفسدها، يُربي عند مَن أمامك حقد وحساسية تجعله لا يقبل الكلام.

لو تكلمتَ أن الله –عز وجل– هو الذي يقول، وأنا مأمور مثلما أنتم مأمورون، وأنني مجرد مُبلِّغ لكم، وأن هذا الكلام أنا أطبقه مثلما أنتم تطبقوه "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ" هود:88 ... في هذه الحالة من الممكن أن يَقبل كلامك، تنزع الحواجز النفسية التي من الممكن أن تقوم نتيجة خوفه أن يشعر أنك تفرض نفسك عليه، لذا يجب أن تُشعره أنك تنقل له كلام ربنا –سبحانه وتعالى–.

"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ" قلنا أن هناك نبأ عظيم أُلقي في المجتمع سبَّب هزةً، المجتمع كله يتساءل.

فالدعاة إلى الله حينما ينزلون للمجتمع في الدعوة يجب أن يكون معهم ((نبأ عظيم)).

يجب عندما تنزل لتكلم الناس؛ سواء ستكلم الناس في مقهى، في مكان عملك، في الشارع؛ يجب أن يشعروا أن هناك نبأ عظيم، أنت مُنذِر لشيء عظيم آتٍ، لو لم يشعر الصدق في كلامك فلن يتحرك.

قبل أن تكلمه في أي تفاصيل للشريعة، أو أي طاعات أنت تريدها منه، يجب أن تكلمه أنّ وراء هذا أمر عظيم سيحدث، كل هذا سوف يُهَدّ، كل هذه السماء التي تراها والأرض كل هذا سوف يُهَدّ ويُبدَّل...هناك دار آخرة، هناك أمر عظيم، وهذا هو ((لُب الدعوة)) أننا نكلم الناس عن شيء مستقبلي عظيم، الذي يتخيل أحداث الدار الآخرة في بدايتها: الشمس تقع، والسحاب، والجبال،

والشَّق الذي في الأرض، والبحار تُسجَّر نارًا، "وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى" الحج:2، والحامل تُسقط الحمل، والمرضعة ترمي الرضيع...

عندما نعيش هذا المشهد في القرآن ثم لا نكلم الناس عنه نكون مجرمين!!!

حينما نكون موقنين بهذا ونراه في القرآن ثم لا نكلم الناس عنه، ونقول لهم: أكملوا حياتكم بطريقةٍ عادية، آخر الطريق عاديّ ليس هناك شيء ينتظركم، لابأس... ليست هناك مشكلة، أهم شيء أن تأكلوا وتشربوا جيدًا، أهم شيءٍ دنياكم، أهم شيء تتخلصوا من القمامة بطريقة جيدة، وتأكلوا جيدًا، وسنضبط لكم إمداد الكهرباء والماء، هذا هو فقط أهم شيء!!!

إنما المستقبل الأُخروي ليس مهمًّا!!! نحن هكذا نكون مُجرمين، نحن هكذا نُضل الناس عن هذا ((النبأ العظيم)).

إذًا الدعوة في مكة كانت قوية لدرجة أنها أحدثت ضجة في المجتمع، لو كانوا يشعرون أن هذا النبأ العظيم لن يؤثر في الناس ما كانوا ليتساءلوا عنه، ولَما انشغلوا بالحديث عنه، ولَما أقاموا جلسات استهزاء ولا جلسات استنكار، لن يبذلوا هذا إلا إذا كانوا خائفين من تأثير النبأ العظيم، لن يُوزّعوا الكُرسف – القطن– على مشارف مكة كحملة مجانية للتضليل، لن يقوموا بعمل هذا إلا إذا كانوا خائفين.

إذًا يجب أن يكون النبأ أمر عظيم، الدعاة إلى الله يجب أن يُشعروا الناس أنّ هناك نبأ عظيم سيحدث "عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ".

طبعًا العلماء اختلفوا هل النبأ العظيم هو البعث، أو القرآن، أو الرسول –صلى الله عليه وسلم–، والثلاثة –مثلما قلنا– يَصبُّوا في شيئين مثلما **جمعهم ابن عاشور: نفي الآلهة، والبعث**.

ونجد أن السورة عالجت في البداية البعث، وفي آخر السورة: "يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لّا يَتَكَلَّمُونَ" لا يوجد لا آلهة ولا غيره ولا حتى الملائكة "لّا يَتَكَلَّمُونَ"

"إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" نفت أي تدخل أو أي شفاعة للآلهة، فعالجت القضيتين واهتمت بالبعث.

"عَنِ النَّبَإِ" قلنا الفرق بين النبأ والخبر... ماذا؟ النبأ هو صدق وأمر ذو جلل يترتب عليه رد فعل، فعندما أخبرك بنبأٍ ما، لا ينفع أن أقول لك النبأ ... فيكون رد فعلك:نبأ جميل!!!، بل يجب أن تتحرك وتقوم بعمل شيء كرد فعل لهذا النبأ.

لذا ربنا يستنكر عليهم أن كل رد فعلهم تجاه هذا النبأ هو مجرد التساؤل!!!

إذًا هناك مجموعات تتساءل، القرآن كأنه دخل عليهم، دخل على مجموعات يجلسون يتساءلون و فجأة القرآن دخل عليهم: ماذا تفعلون؟ عن ماذا تتساءلون؟

لم يقل الله –عز وجل–: الذي يختلفون فيه، بل قال: "الَّذِي هُمْ (فِيهِ) مُخْتَلِفُونَ"

تعبير القرآن جميل جدًّا، كل كلمة في القرآن معجزة، لم يقل: الذي يختلفون فيه، بل قال: "الَّذِي هُمْ" القرآن جسّدهم هم، "فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" كأنهم بذواتهم وأجسادهم دخلوا داخل الاختلاف، كأنه لم يَعُد يهمهم شيئًا غير الكلام في موضوع البعث، كأن مجتمع مكة أصبح متفرغًا فقط لموضوع القرآن والنبي – صلى الله عليه وسلم– والبعث والمؤمنين، أصبح كل همهم وانشغالهم ... كيف نتخلص من هؤلاء الناس؟، كيف نقوم بحملات إعلامية؟، كيف نقوم بتعذيب المؤمنين؟، كيف نُضل الناس؟، أصبح المجتمع كله مشغول بهذا الحدث!!!.

لذلك تجد الناس الذين يرفضون الشريعة كلما أحسوا مجرد بداية تمكين أو ماشابه تجد تفرغا وتركيزا كاملًا...كل البرامج وكل الناس جالسون الآن... شبهات ضد كذا، عندما يشعروا أنّ هناك بدايات تمكين.. مباشرةً حالة الطوارئ تُعلَن والكل يتكلم... شبهاااات.

"الَّذِي هُمْ فِيهِ" كأنهم هم "فِيهِ" أي في النبأ العظيم مشغولون به.

إذا كان ليس له قيمة وأنتم تُنكروه، فلماذا هذا الاهتمام المبالَغ فيه!!! إلا إذا أنت تَعلم من داخلك أنّ هذا سيؤثر في الناس... هم يَعلمون أن هذا سيؤثر على مصالحهم الاقتصادية.

القرآن جاء يقول لهم: الناس كلها تُبعَث سواسية ... العدل، أو بالتعبير الذي جاءنا في السورة: الفصل بين الناس، كل هذا سيحدث يوم القيامة.

لذلك هناك طائفة سماهم القرآن بالوصف الذي جاء معنا اليوم في سورة النبأ: ((الطاغين))

الطاغي: هو الذي لا يريد حدودًا، الطاغي هو الذي ليس له حدّ، يتجاوز الحد، القرآن وضع لكل شخص الحد الخاص به...

الحاكم أو الرئيس يضع له حد ، أنت لا يجوز أن تتجاوز كذا وكذا وكذا، أنت أصلًا موظف تعمل كذا وكذا وكذا، أنت عبد... الرجل الذي يعمل في الاقتصاد أنت عبد، لك حدود لا تتعداها.

لذا جاء يوم الفصل يُعيد هذه الحدود التي تَعدُّوها...

هم رافضون هذا طبعًا؛ لأن اقتصادهم كله قائم على عكس هذا... فعندما تقول له: كلكم سواسية، ويوجد بعث، والكل سيُحاسَب، يرفض "الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ".

لذا ربنا يقول لهم: "كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" كَلَّا ماذا تعني؟...أي توقفوا عن هذه التساؤلات، توقفوا عن هذه التُّرَّهات؛ حتى لا يُستدرَج المؤمن في الكلام معهم، حتى لا يستمع لبرنامج ساعةً والمذيعة المتبرجة مستمرة في الكلام في قضية من قضايا الشريعة... الحجاب مثلا ونحن أصلًا لم نؤصِّل عقيدة البعث، لم نؤصِّل عقيدة القرآن أنه هو الكلام الحق الأوحد الآن على وجه الأرض، لم نؤصِّل أن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو خاتم الرسل،إن لم نؤصِّل هذه الأصول، فكل هذا تُرَّهات.

"كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ" سَيَعْلَمُونَ ماذا؟ سَيَعْلَمُونَ حقيقة النبأ الذي كانوا فيه مختلفون، هم مستمرون في الاختلاف، وربنا يقول لهم: سوف تعلمون، كل الذي تُنكره.. ستَعلَمه.

"كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ" قالوا الأولى أنهم سيرونها عيانًا، والثانية، "ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ" سيذوقونها، يعني أول مرة سيرى النار بعينه والثانية سيذوقوها عياذا بالله ...

وقيل "كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ" أي سيعلم أهل الإيمان أنهم كانوا على الحق، "ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ" وسيعلم أهل الكفر أنهم كانوا على الباطل.

فمن حِكم إقامة يوم القيامة، أن أهل الإيمان يوقنوا أنهم كانوا على الحق، وأن أهل الباطل يوقنوا أنهم كانوا على الباطل، وأن أهل الإيمان يقولون لأهل الكفر "قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا" الأعراف:44

وقيل أيضا؛ هذا ترقي في العلم، أن الكافر عندما يموت سيرى جزءاً من الذى كان يُقال له في القرآن سيراه في القبر، وعندما يُبعث سيرى جزءاً من الذى كان يُقال له، وستكتمل الحقيقة الكاملة–والعياذ بالله – حين يُلقى في جهنم، عندها سيقول: حقا... فعلًا صدَق المرسلون، الكلام الذى كانوا يقولونه لم يكن تخويفاً، هذا هو الكلام الذى كانوا يقولونه إنه حقيقة فعلا ..لم يكونوا يمزحون أو يهولون، حين يذوقها بنفسه –والعياذ بالله– "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ"

بعد هذه المقدمة، السورة هجمت على من كانوا يجلسون، يتناقشون، ويتكلمون باستهزاء، نقلت الموضوع من استهزاء إلى جد، أشعرتهم أن الموضوع نبأ عظيم، لا ينفع فيه خلاف، لأن الإنسان يمكن أن يختلف في معلومة، لكن كيف له أن يختلف في نبأ عظيم!!! مثلا... لا يصلح أن نختلف فى أن الشمس تطلع أم لا!!!، لا يصلح أن نختلف هل الناس يموتون أم لا!!!، أو يقول أحدهم: أنا لست مقتنعاً أن الناس يموتون...محاااال!!!

إنكار البعث، مثل إنكار الموت،

إنكار البعث مثل إنكار أن هناك أطفالاً يولدون كل لحظة، إنكار البعث مثل إنكار أن هناك نبتة تخرج من الأرض، إنكار البعث مثل إنكار تعاقب الليل والنهار، إنكار البعث مثل إنكار ظاهرة التزاوج،

إنكار البعث هو إنكار لكل الظواهر المشاهدة في الحياة، كل هذا يأتى في القرآن كأدلة صاغها الله عز وجل لنا عن البعث... هناك أشياء لا يصح أن يكون فيها خلاف...

فالسورة دخلت على المجموعات التى تتساءل، وتستهزأ، وتسأل أسئلة ليست على وجه الحقيقة، فقلبت الموضوع جداً "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" كان المتوقع هذا الجواب الرادع لهم " إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"

لكن ربنا سبحانه وتعالى قبل أن يقول لهم هذا، من رحمة الله عز وجل بدأ معهم... "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا"

ثم بعد هذا قال سبحانه: "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا"

فربنا سبحانه وتعالى أولاً أتى لهم بمجموعة من الأدلة، قبل أن ينقلهم نقلة إلى يوم الفصل، ثم جهنم، ثم المؤمنين فى الجنة، ثم ختام بمشهد الخلق، وهمَّ كلهم واقفون أمام ربنا سبحانه وتعالى " لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطابًا"

فإذًا من رحمة ربنا سبحانه وتعالى بدأ معهم بالتذكير بنعم الله جل وعلا على الناس... وهذا يفيدنا فى الدعوة أيضاً، قبل قول "إن يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا".... ذَكِّرهم بنعم ربنا سبحانه وتعالى:"أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا"...

ربنا سبحانه وتعالى يخاطبهم بالآيات من بداية"أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا " إلى "وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا" كل هذا داخل ضمن مضمون سؤال "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا" ؟...وألم نجعل الْجِبَالَ أَوْتَادًا، وألم نبني فوقكم سبعًا شداداً، أليس الله تعالى قد فعل لكم كل هذا؟! ألم يُؤتكم ربنا سبحانه وتعالى كل هذا؟! ألم يؤتك الله عز وجل عينين، ويدين، ورجلين؟ ألم يكرمك الله عز وجل دائماً؟ ربنا سبحانه وتعالى أنقذك في الموقف الفلانى... صيغة التساؤل يجعله بعد كل آية يقف، ويتساءل، ألم يؤتنى الله عز وجل هذه النعم؟

هذه الآيات، "ألم نجعل الأرض .....الآيات "، الكلام عن الأرض، والجبال، والسماء، والزرع، لماذا هذا الشوط من تعداد النعم ؟

الآيات الكونية تأتى في القرآن كثيراً للاستدلال على البعث،

ماالغرض من سرد الآيات الكونية للاستدلال على البعث؟؟

العلماء حاولوا أن يجمعوا، وما سأقوله مجموع من أكثر من تفسير.

وهذا سيفيدنا في القرآن كله

أولًا: لإثبات القدرة:

أن الذي جعل الأرض مهادًا وجعل الجبال أوتادًا، و الذي أنزل المطر من السماء، وأخرج الزرع، فالذي فعل كل هذه الأشياء قادر على البعث.

أي أن ربنا سبحانه وتعالى يقول لهم: لماذا تنكرون البعث؟ أتظنونه مستحيل؟ أوَ من عجز هو؟! حاشاه سبحانه وتعالى.

مثلما قال ربنا "فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" الصافات:87 أظننتم فيه العجز حتى تنكرون البعث؟! حاشاه سبحانه وتعالى، أوَ ظننتم فيه العجز حتى تنكرون البعث؟ فإثبات أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، الله سبحانه وتعالى خلق كذا وفعل كذا... هذا إثبات القدرة.

ثانيًا: نفي العبث:

من أغراض استعمال الأدلة الكونية لإثبات البعث، نفي العبث، ما معنى نفي العبث؟

ولله المثل الأعلى نرجع لمسألة الأستاذ أو المدرس الذي دخل على الطلبة فوجدهم ينكرون ويشُكون في وجود اختبارات ، فالأستاذ يقول لهم: معقول أن تُبنى هذه المدرسة، والفصول، والمدرسين، والمرتبات، وكل هذا، ثم لا يكون هناك امتحانات ولا شهادات!!! ما الغرض إذا من بناء المدرسة إن كنا لا نريد أن نُخّرِج أحد، ولن نعقد امتحانات، ولن نعطى شهادات!!! ما الحكمة ...ما الغرض!!! سيقول الناس هؤلاء مجانين، هذا عبث، هل يُعقل هذا!!!

فالله عز وجل جعل الأرض مهادًا، والجبال أوتادًا، والسماء، والشمس، والنبات، والمطر، كل هذا من غير حكمة؟! وكل هذا موجود هكذا دون أى غرض؟! والنعم من العين والأُذن والقلب والكليتين كل هذا لن تُحاسب عليه؟! كيف هذا؟! أنت لو ذهبت إلى شركة ما، فوجدتهم يقولون لك، خذ كذا وكذا، سيارة، وأموال، ومسكن، ثم حينما تسألهم وما المطلوب منى فى المقابل؟ يقولون لك لا شىء!!! إفعل ما بدا لك...تصرف كما يحلو لك! ستقول ما هذا العبث!!!... ولله المثل الأعلى؛ فإذا كنتم تنزهون أقل الناس عقلاً فى هذه الدنيا عن فعل هذا، فالله سبحانه وتعالى أحق أن ينزه من هذا العبث.

إذًا من فوائد استعمال الأدلة الكونية على إثبات البعث 1- القدرة المطلقة 2- الحكمة ونفي العبث

ثالثًا: الله سبحانه وتعالى أتى لهم بمشاهد من المشاهد التى يرونها في الحياة قريبة من البعث...مثلا مشهد التزاوج وإنجاب الطفل؛ يُروى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– "بزق النبي –صلى الله عليه وسلم– في كفه ثم وضع أصبعه السبابة وقال: يقول الله عز وجل: يا ابن آدم أنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه" حسنه الألباني

كيف أن الإنسان كان نطفة، كان ميتاً، وتحوّل إلى حي، "وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا" النبأ:8... "لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا" النبأ:15 الأرض كانت ميتة ثم أخرج منها النبات ، داخل هذه المشاهد دلالة على البعث...كيف إذا أنت تنكر البعث، إذاً فلتنكر التزاوج، فلتنكر أن الفرخ الصغير يخرج من البيضة، فلتنكر أن الأرض تُخرج ثماراً، من أنكر البعث يجب أن ينكر كل هذه الأشياء، لأن هذه الأشياء واقعاً أنت تراه وتشاهده، فالله عز وجل يأتى لهم داخل هذه المشاهد بأشياء مقاربة للبعث.

رابعًا: المشاهد الكونية كلها مترابطة مع بعضها البعض:

بمعنى أن الأرض محتاجة للجبال، والأرض تنتظر الماء من السماء، والسحاب فيه تناسق بينه وبين بعض، وحركة الماء تحتاج إلى الشمس، والماء حينما ينزل تستقبله الأرض، فالمخلوقات كلها متناغمة ومتناسقة مع بعضها، دلالة أن الذي خلقها واحد، فالكون محتاج لبعضه... النبات يحتاج ثاني أوكسيد الكربون الذى يخرجه الإنسان، ثم النبات يخرج لنا الأوكسجين الذي يحتاجه الانسان... النبات يعطينا غذاء نحتاجه وهكذا ... إذًا كل الدورات الكونية متداخلة، مترابطة مع بعضها البعض، وأشهر التداخل، التزواج "وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا" الذى فعل كل هذا إله واحد، فهذا دلالة القدرة التى تدل مرة أخرى على البعث.

إذًا 1- القدرة المطلقة، 2- نفي العبث، وحتمية وجود حكمة فمن المؤكد أن هناك غرض من هذا كله 3- استدلال من المشاهد التى تدل على البعث 4- احتياج المخلوقات إلى بعضها، وأن الذى خلق كل هذا إله واحد ذو قدرة.

خامسًا: كأن ربنا سبحانه وتعالى يقول لنا "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ":

يعني الله عز وجل جعل الأرض مهادًا، ماذا لو أراد الإنسان أن يجعل الأرض مهادًا؟!!، انظر للإنسان حينما يريد أن يُعَبد طريق، أنظر للصعوبات والوقت والتكلفة...

لكن انظر إلى قدرة الله؛ فالسماوات والأرض بعد ما كانت رتقا ففتقهما سبحانه وتعالى..."أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا" الأنبياء:30

من الذى جعل الارض مهادًا؟ من الذى جعلها ذلولًا؟

"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" الملك:15

الذلول هى: الدابة التى كانت مفترسة، جعلها الله سبحانه وتعالى ذلولاً أي: تذل للإنسان..

فكأن هذه الأرض كانت مفترسة، ما معنى مفترسة؟

أي أن الأرض هذه كان يمكن أن تضل في الكون، تصطدم بالشمس، ويسقط فيها نيازك تدمرها، وتقترب من الشمس فتنصهر، أوتبتعد عن الشمس فتبرد، والبراكين التى بداخلها تنفجر في أي لحظة، والأنهار التى فيها تغور ، فتصبح غوراً، أي أن الأرض كان يمكن أن يحدث فيها اضطرابات شتى، من الذى ضبط الأرض فلا تقترب من الشمس ولا تبعد عن الشمس؟!

من الذى ضبط الأنهار حتى تمشي بنسق معين وفي مجرى ثابت ودورة الماء تمشي بنسق معين؟!

من الذى ضبط الجبال حتى تبقى في أماكنها؟!

ومن الذى ضبط البراكين فتتفجر في أماكن محددة وأن الزلازل تحدث في أماكن أخرى؟!

من الذى صنع هذا كله؟!

" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ (مِهَادًا)" ...من الذى مهدها؟!

انظر إلى هذا التعبير الجميل "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ (مِهَادًا)"

ما هو المهاد؟ الأم حينما تمهد السرير لطفلها الصغير ، وتضع فيه طفلها الرضيع، ولله المثل الأعلى، الله سبحانه وتعالى أرحم بنا من الأم بولدها، كما أن الطفل الصغير هذا لا يستطيع أن يفعل لنفسه أي شيء...

فكأن ربنا سبحانه وتعالى يقول لنا: أنتم لا تستطيعون أن تفعلوا لأنفسكم شيء، أنا من صنعت لكم كل شيء، أنا من ضبطت لكم عدد الجزيئات، والذرات لكل شيء في الكون تحتاجون إليه ...فإذا اختلت كل شيء سيختل، كل شيء يذهب.

فكأن ربنا سبحانه وتعالى يقول لنا انظروا إلى قدرتكم!

أين الشركاء؟! أروني ماذا خلقوا من السماوات والأرض؟! ماذا فعلوا؟!

انظر حينما يريدون عمل وتد للخيمة ماذا يصنعون؟!

لكن الله سبحانه وتعالى حين صنع وتد، جعل الجبال أوتادًا، الله سبحانه وتعالى حينما بنى، بنى سبعًا شدادًا... ماذا فعلتم أنتم؟ الله سبحانه وتعالى، لما بنى سماوات بناها سبعًا شداداً، الله سبحانه وتعالى لما أنزل الماء أنزله ثجاجًا، يكفي الكون كله، أنتم حين تريدون ماءً ماذا تصنعون؟ تبذلون جهدا كبيرا كى تصلوا إلى الماء... الله سبحانه وتعالى لما خلق، أخرج من الأرض نباتًا وجنات ألفافًا، أنتم ماذا صنعتم وكيف؟ هل تستطيعون إخراج هذا من كومة من التراب؟

فأنت حين تقارن بين قدرة الله عز وجل وقدرة الإنسان... لا يوجد أصلاً وجه مقارنة... توقن أن الإنسان ضعيييف، أيضًا هذه من أدلة قدرة الله عز وجل على البعث.

أخيراً فى هذه الأشياء التى ذكرها الله سبحانه وتعالى، أن الإنسان يُجبر ويُقهر على أشياء...الإنسان يقهر على النوم"وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا"

الإنسان يُقهر على التزاوج، الإنسان محتاج أن ينجب، لابد أن يتزوج، يحتاج، في داخله شهوة تدفعه إلى التزاوج "وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا"

، الإنسان مقهور على أشياء، الليل يأتي ويعقبه النهار، هناك نظام معين هو مجبر عليه... هذه هيمنة الله عز وجل، لأنه سبحانه من صنع هذا، فالذى أجبرك على هذا قادر على أن يميتك، ثم يحييك...عَلامَ تعترض؟!!!

تناطح من !...تصادم من!!

مثلما قلنا، من يريد أن يمنع البعث ..إذا امنع الشمس أن تطلع! "فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ" البقرة:258

وإذا أردت إنكار البعث، فالله سبحانه وتعالى قال:أنك كنت ميتاً فأحياك، ثم يميتك، ثم يحييك...أنت تقول:لا ... أنت تصادم هذا، إذاً فلتُصادم الشمس! اجعل الشمس لا تشرق، اجتمعوا أيها الناس، وامنعوا الشمس أن تشرق، اجتمعوا وأزيلوا كل الجبال التى في الأرض، اجتمعوا يا أيها الناس وابحثوا عن مكان آخر غير الأرض، اتركوا الأرض، اذهبوا إلى مكان آخر!!!

كل هذه الأشياء نستفيدها حينما تأتى الأدلة الكونية على إثبات البعث وذلك في القرآن كله.

"أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا"...وقفات سريعة مع هذه الآيات،

"أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا" الله عز وجل يقول: أنا من خلقت هذه الأرض، نون العظمة، لا أحد يستطيع أن يفعل هذا، أنا من جعلتها ذلولاً، مهادًا كمهاد الطفل ...هذا من رحمة الله عز وجل بالناس.

"وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا" كلمة جميلة قيلت، أحدهم يقول لما يسمع أن الأرض مهادًا، فيقول: ما هذا! الأرض ليست مهادًا، لأن فيها جبالا... فكأن ربنا سبحانه وتعالى يقول: الجبال التى تضايقك هى سبب حفظك، فكأن هناك أشياء أحيانًا تضايق الإنسان مثل النوم مثلا، الإنسان قد يتمنى أنه لا ينام، فربنا سبحانه وتعالى يقول النوم هذا من أجلك، ربنا سبحانه وتعالى يخبرنا: أنا قهرتك بالنوم لمصلحتك، ولو كان الإنسان وُكِّل إلى نفسه لضيع نفسه، فالله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح العباد من أنفسهم، وأرحم بهم من أمهاتهم، بل من أنفسهم.

"والجبال أوتادًا".. هناك إعجاز علمي.. في الغلاف الجوي وكيف أن الجبال لها دور فى الثبات؟، والزلازل وغيرها- أياً كان هذا ليس موضوعنا-.

"أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا" **هاتان آيتان في الخلق.**

ثم آيتان للإنسان "وَخَلَقْنَاكُم أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُم سُبَاتًا" احتياج الإنسان إلى الزوج، احتياج الإنسان للنوم، هذه الاحتياجات يُقهر فيها الإنسان لمصلحته، " وَخَلَقْنَاكُم أَزْوَاجًا " هذه آية أيضا في التوحيد ...فالكون كله أزواج،والله عز وجل هو الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى، هذه ظاهرة كونية تدل على التوحيد "**وَخَلَقْنَاكُم أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُم سُبَاتًا**"

انتبهوا... لفظ الجعل، ليس مثل الخلق- والله قادر على كل شيء بقول كن -هذه السماوات والأرض فى البداية كانتا رتقاً " السماوات وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا" أي الجعل: هذه عملية معينة لا يستطيعها الإنسان، **الجعل هو التحويل**، مثل تحويل هذه الطاولة مثلاً إلى شيء آخر، مثل اللبن يحولونه لزبادى، هذا جعل، فربنا سبحانه وتعالى يقول: أنا جعلت الأرض مهادًا، وجعلت نومكم سباتًا، ربنا سبحانه وتعالى يقول أنا جعلت نومك يريحك، كان يمكن أن يتعبك النوم ولا يريحك.

والعجيب_ سبحان الله_ انظر إلى تدبير ربنا سبحانه وتعالى، الإنسان حينما يرتب لأمر ما، حينما يعمل لنفسه جدولاً، دائمًا يرتب أوقات الحركة ويهمل أوقات السكون، فيرتب وقت للعمل، والمواعيد، وينسى أن يضع وقتاً للراحة.. فربنا سبحانه وتعالى في تدبير الكون، جعل أوقات النوم قهرية، يعني لو كانت وُكِّلت للإنسان لضيع نفسه، فلو أن أحداً حاول أن يسهر، فإنه يتعب وينام رغماً عنه، من أجل مصلحته، لو كان ربنا سبحانه وتعالى جعل الإنسان يسهر ولا يحس بآلام السهر، كان يمكن أن يموت فجأة، لأنه دائمًا يقولون أقل الناس نوماً –الذى لا يحافظ على نومه جيداً– أقل الناس عمرًا.

الشاهد أن ربنا سبحانه وتعالى من رحمته بالإنسان، جعل النوم سباتاً، وسباتاً بمعنى القطع، مثل إحساس الفصل واعادة التشغيل ...أن الإنسان يكون متعباً_ وهذا شيء عجيب جدًا_ تجده متعباً، يشعر بالضيق وبالصداع، وأعصابه مشدودة، ومجهد، يدخل ينام ساعتين، يستيقظ فيجد كل هذا قد ذهب عنه... كيف؟ كيف حصل هذا التجديد؟!

وتتعجب أيضا وأنت تقول حين تذهب للنوم وتقرأ آية الكرسي تقول "لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ" سبحان الله...

من أذكار قبل النوم "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" القيوم أي الذي يقوم على حفظ الأشياء، فمن رحمته وهو يقوم على حفظ الأشياء، ومن كماله أيضا سبحانه وتعالى (فالذى يقوم على حفظ شيء لا ينفع أن ينام، إذا نام تضيع المحفوظات_ ولله المثل الأعلى)

فالله سبحانه وتعالى "هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ" انتبه من كلمة "لَا تَأْخُذُهُ" كأن ربنا سبحانه وتعالى يقول: أنتم كبشر تأخذكم سِنة...أي: رغماً عنكم ، أي: رغماً عنك ستنام، الله سبحانه وتعالى هو خالق النوم، سبحانه وتعالى لا ينام سبحانه وتعالى "لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ" البقرة:255

فنرجع مرة أخرى ...الله جعل لنا الأرض، ثُبِّتَت بالجبال ...ثم أنتم ستشعرون بوحشة، إذاً نجعل لكم التزاوج لتشعروا بالأنس...ثم ستحتاج فترة ترتاح فيها، إذاً سأجعل لك النوم، بالليل لابد أن يكون هناك ظلام "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا" أي لا ترى بظلمته... أما النهار كى أتحرك وأسعى "وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا" وكذلك تشعر أنك محفوظ"وَبَنَيْنَا فَوْقَكُم سَبْعًا شِدَادًا"...ثم حركة المطر، والسراج الوهاج، الذى يضيء،

وفى نفس الوقت يُبخر الماء، حتى لا تتوقف دورة الماء "وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا"

انتبه وتدبر "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا" ثم "وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا" ثم "وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " تقرأ الآيات، فتجد التناسق، والتناغم، والتداخل، وقدرة ربنا سبحانه وتعالى المبهرة... شيء مبهر، شيء جميل.

مثلما قلنا كل آية من هذه الآيات هى من الأدلة على إثبات البعث... آيتين في الخلق "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا"

وآيتين قهر للإنسان ...هو يحتاجهم "وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا"

ضبط لحياة الإنسان "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"

وبعد هذا منظومة المطر، "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا" تعبير القرآن، لم يقل عنها سراجًا فقط، بل قال (وهاجًا)... قال ماء (ثجاجًا)، الجنات قال(ألفافاً)، هذه زيادة فى الرحمة، زيادة في العطاء، ربنا سبحانه وتعالى لم يقل ماءاً فقط، بل قال لك ثجاجًا، زيادة في الرحمة

وأيضا...لا أحد يُنزل ماءاً (ثجاجًا) إلا الله، لا أحد يجعل الأرض (مهادًا)إلا الله، لا أحد يجعل الجبال (أوتاداً)إلا الله، المواصفات هذه لا يفعلها إلا الله عز وجل.

"وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا"

قيل المعصرات: هي السحاب، أو الرياح، أو السماء، هذه ثلاثة أقوال، لكن الأرجح أنها السحاب، لأنه هو الذى يَنزل منه المطر،

المعصرات: أي حان وقت عصرها،

أن تُعصر وتُنزل المطر، هنا همزة يسمونها همزة الحينونة، ما معنى ذلك؟ **المعصرات: مِن أعصر**، الهمزة هذه تسمى همزة الحينونة،أي أن ربنا سبحانه وتعالى هو الذى يحدد الوقت بالضبط الذى ينزل فيه المطر من السحاب ، الله سبحانه وتعالى هو الذى يأمر السحابة ألا تمطر إلا فى وقت معين، ومكان معين، اليوم مثلاً_ هذا أصلًا يوم عجيب_ كنا نقول أن الصيف أتى ، والحر، وفجأة تجد مطراً، وبرقاً، ورعداً، الله عز وجل هو الذى يحدد الحين... هذه التي يسمونها همزة الحينونة في كلمة المعصرات... الله عز وجل هو الذي يحدد الزمان والمكان، ولا يقدر أحدا– كائنًا مَن كان– أن يأمر السحاب أن يمطر فى وقت كذا، ومكان كذا "وَأَنزَلْنَامِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا"...من أجلكم، لنخرج به حبًا ونباتاً، كان يكفى حباً يا رب، لكن ربنا سبحانه وتعالى زاد "ونباتاً"، "وجنات ألفافًا"، كرم وعطاء...وبعد هذا كله ينكرون البعث. ثم يبدأ الشطر الثانى، من لا يعجبه كل هذه الآيات، إذاً سيواجه "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا"

نكتفي بهذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله الا أنت، استغفرك وأتوب إليك.